مجلة دراسات إسلامية رقم ISSN 1112-8011
المجلد : 15 العدد : 02 السنة : 2020 ص 33 – 48

سياقات العلم واستعمالاته في القرآن الكريم من المكي إلى المدني

The contexts of science and its uses in the Holy Qur'an from Almaki to Almadani

صلاح الدين شانع*

جامعة شعيب الدكالي الجديدة، المغرب chanaa1987@gmail.com

تاريخ الارسال : 2020/06/20	تاريخ القبول : 2020/12/09	تاريخ النشر : 2020/12/22

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة سياقات العلم واستعمالاته داخل الخطاب القرآني، كما يسعى استنباط دلالات العلم داخل القرآن الكريم عن طريق تتبع الآيات التي وردت بها مادة 'ع ل م' باشتقاقاتها المختلفة في كل من الآيات المكية والآيات المدنية. هذا وقد حاول البحث دراسة حدود العلم داخل الخطاب القرآني وما مدى شموليته وارتباطه بالقضايا العقدية والتشريعية التي عالجها القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية : القرآن الكريم ، العلم، سياقات العلم، القرآن المكي، القرآن المدني

Abstract:

This research aims to study the contexts of science and its uses within the Qur'an discourse. It also seeks to deduce the connotations of knowledge within the Qur'an Alkarim by tracing the verses in which the article 'ع.ل.م' was mentioned with its various derivations in both the Meccan verses and the Madani verses.

This research has attempted to study the limits of science within the Qur'anic discourse and the extent of its comprehensiveness and its connection with the contractual and legislative issues dealt with in the Holy Quran.

Keywords:

Alquran Alkarim, **Science**, **Contexts of Science**, **Alquran Almaki**, **Alquran Almadani**.

* المؤلف المرسل

مقدمة:

حينما خلق الله السماء والشموس والنجوم والأرض والجبال والأنهار والحيوانات كان يهيئها لمخلوق عظيم يستخلفه لتسيير هذا الكون الفسيح، خلق الله الإنسان بعد أن هيأ له العالم، فظهرت هذه المخلوقات قبل الإنسان، وحينما خُلق البشر كان الله قد مده بسلاح مهم يعينه على التعامل مع جميع ما خلق الله في هذا الكون، وذلك هو العقل.

كيف يمكن لعقل الإنسان تسيير كون عجيب، يكون مؤهلا لسياقة هذه السفينة؟! لماذا لا يكون الإنسان فقط مخلوقا غريزيا كالجمل والحصان ليعيش بين هذه المخلوقات والكائنات كما تعيش، فيضمن بقاءه إذا كان هو الأقوى، ويزول إذا كان هو الأضعف كما تزول الأرنب أمام الثعلب ويزول الثعلب أمام الأسد وهلم جرا؟!

إذا كان الله قد خلق للكائنات الحيوانية غرائز لتعيش وفق نظامها، فقد أعفاها سبحانه من المسؤولية لأنها تعني المحاسبة من جهة الأمر الإلهي الذي خلق عالما آخر هو اليوم الآخر الذي سيحاسب فيه المسؤول الأول –الإنسان– من طرف خالقه سبحانه وتعالى على الكيفية التي سير بها الكون.

المخلوقات في الكون غير الإنسان ليست مسؤولة عن عمل أو سلوك ما وإن كان كل شيء في الوجود يسبح بحمده سبحانه وتعالى، والمخلوقات الملائكية عرفت قدر ربها فأطاعته، وتواضعت لقدرته حين علمت أن الله جعل الإنسان في الأرض خليفة، رغم أنها اندهشت لقرار ربها حين علمته في البداية لظنها أن بني آدم سيفسدون في الأرض، فكان رده سبحانه (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ) [البقرة : 30].

الله سبحانه قدر أنه بواسطة العلم سيسير الإنسان الكون، وبمفاتيح المعرفة الكثيرة والمتنوعة سيصنع البشر لباسهم وغذاءهم ومساكنهم ودواءهم وأسلحتهم التي يقون بها أنفسهم.

إلا أننا نلاحظ خروجا عن الهدف النبيل الذي يرجى من العلم، إلى أهداف غير التي أوردها الله في كتابه العزيز.

من هنا تأتي هذه الدراسة الذي تحمل عنوان:

سياقات العلم واستعمالاته في القرآن الكريم من المكي إلى المدني

هي دراسة تنطلق من مسلمة أن للقرآن الكريم الأثر الكبير على القلوب، وهذا راجع لنظمه المعجز وأسلوبه البياني. وأن أول ما يلفت حس المستمع للخطاب القرآني هو جمال نظمه ووقعه في السمع، وانسياب لغته إلى الوجدان من خلال دلالة اللفظ المستعمل على معناه.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة، جاءت على النحو الآتي:

تمهيد:

المبحث الأول: تنوع العلم داخل القرآن الكريم

المبحث الثاني: استعمالات العلم داخل القرآن الكريم

المبحث الثالث: العلم في القرآن المكي

المبحث الرابع: العلم في القرآن المدني

خاتمة:

- **أهمية البحث :**

لطالما اتهم الإسلام بمعاداة العلم، وأنه دين جمود وجهل، وأن كل اجتهاد وبحث علمي في أي مجال من مجالات العلم هو اصطدام مع القرآن الكريم، والحقيقة أن أصحاب هذه الادعاءات إما أعداء لهذا الدين

يعرفون حقيقته وقوته، يريدون تشويهه عن طريق تشويه أحد أهم المفاهيم التي بها تكبر الأمم وتحقق تقدمها وكيانها وحضارتها، ألا وهو مفهوم "العلم"، وإما أتباع سمعوا ونقلوا ولم يكلفوا أنفسهم البحث عن صحة هذه الادعاءات.

ومن هنا تظهر أهمية البحث لتحقيقه جملة من الأهداف وأهمها ما يأتي:

- الرد على بعض الادعاءات التي تتهم الإسلام بمعاداته للعلم.
- توضيح بعض المعاني المختلفة لمادة 'ع ل م' داخل القرآن الكريم.
- الوقوف على أهمية دراسة المصطلح القرآني كمدخل أساس لبناء أنموذج معرفي قرآني.

- **إشكالية البحث:**

يحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة التالية:

- هل للعلم حدود داخل الخطاب القرآني، أم أن القرآن الكريم ساقه في كل مواضيعه؟
- كيف وظف كل من القرآن المكي والقرآن المدني مادة "ع ل م"؟
- ما دلالات العلم وسياقاته داخل الخطاب القرآني؟

- **الدراسات السابقة:**

- رسالة الدكتوراه بعنوان مفهوم العلم في القرآن الكريم دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، للدكتور مصطفى فوضيل. إشراف :د .الشاهد البوشيخي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، -كلية الآداب والعلوم الإنسانية – ظهر المهراز، فاس، سجلت سنة:1994م، ونوقشت يوم 2002/07/16. وهي دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي لمفهوم (العلم) في القرآن الكريم والحديث الشريف.
- أثر حجم ورود المصطلح القرآني في الدلالة على منزلته، للدكتور عبد الرحمان بوكيلي. تنطلق هذه الدراسة من مسلمة، وهي أن الألفاظ القرآنية لم ترد عبثا، وبالتالي فهناك صلة بين حجم ورود المصطلح داخل القرآن الكريم وبين منزلته وأثره. وقد قامت الدراسة بالتنقيب في مصطلحات العقيدة، العلم، المعرفة، العبادات والأخلاق.
- العلم مفهوما وغاية بين التصور الإسلامي وواقع المسلمين، د .عبد المجيد النجار، مجلة منار الإسلام، العدد5 :، جمادى الأولى، 1409 هـ - 1988م.
- مفهوم العلم وغايته في القرآن الكريم والسنة النبوية، دة .حبيبة أبو زيد، –مجلة حراء، العدد 11 :، أبريل –يونيو 2008 م .

المبحث الأول: تنوع العلم داخل القرآن الكريم

- المعاني الأصول لمادة 'ع ل م' في المعاجم اللغوية

اتفقت جميع المعاجم التي اعتمدتها والتي اخترنا منها خمسة معاجم على أن العلم نقيض الجهل[1]، وبعد التنقيب تبث لنا أن هذه المعاجم قد اتفقت على معاني أصول نوردها كالتالي:

1-الشعور:

عَلِمْتُ بخبرك، أي: شعرت به. وأعلمته بكذا، أي: أَشْعَرْتُه وعلّمته تعليماً. وفي الشعور بالخبر غياب للجهل وبالتالي حصول العلم بالشيء. إذ لا يمكن أن يكون هذا الشعور بغياب العلم بالشيء. فعلمت كشعرت.

2- العَلَمُ (الجبل الطويل)- العَلَمُ (الراية)– العلامة (الإشارة)- العَلْماءُ(الدرع):

سمي العَلَم عَلَما من العلامة، وهي الإشارة. والعَلَمُ: الجبل الطّويل، والعَلَمُ: الرّاية، إليها مجمعُ الجُند. و العَلَمُ: ما يُنْصَبُ في الطّريق، ليكون علامةً يُهْتَدَى بها، والعَلامَة والمِعْلَم. والعَلَم: ما جعلته عَلَماً للشيء.و العَلْماءُ: الدّرْعُ.

ولفظة **'العَلَمُ'** التي بمعنى الجبل الطويل هي أيضا إشارة ملموسة واضحة للمسافر وسط الصحراء ليعرف مكان وجوده ليتأكد من مدى ضلاله أو سلامة سيره داخل الفيافي، فالجبل الطويل أيضا يكون علامة يهتدى بها لضمان وجود السلامة داخل تيهان قد لا يعرف مداه، وقد كان المسافرون في الصحاري قديما يهتدون بجبال يعرفون أسماءها ومواقعها داخل البراري، فتكون نقطة ارتكاز للتوجيه الصحيح.

وقد يقصد **'بالعَلَم'** الراية التي تحمل خلال السفر من طرف واحد من المرشدين للجماعة أو ترفع خلال الحرب دلالة على أن الجيش المحارب صاحب تلك الراية المعروفة لا يزال متحديا للعدو، فارضا وجوده على الخصوم وينتظر الانتصار. إن مثل هذه الراية في مثل هذه المواقف الحرجة تكون نورا للقلوب وأمنا للنفوس ومولدا للثقة في أعماق المحارب.

وإن لفظة **'العَلْماءُ '** التي هي من مشتقات مادة فعل 'ع ل م' والتي يقصد بها الدرع الواقية للمحارب في ساعات العسرة وسط العدو، والتي تعتبر ذات قيمة لا تقل عن قيمة السيف لأنها تستعمل دائما للوقاية والدفاع في الوقت التي تكون السيف مستعملة للهجوم، ويشترك العِلم و العَلْماءُ (الدرع) في الغاية، فتلك تحمي صاحبها من أدى العدو ومن الرماح والسيوف حتى لا يهلك لابسها، وهذا يحمي صاحبه من مخاطر الجهل ومن الوقوع في الكفر والشرك، ويحمي صاحبه من الوقوع في المعصية ومن كل ما قد يفعله المرء عن جهل فيغضب الله. فالعلم إذن يحمي صاحبه من الهلاك في الدنيا والآخرة، ومن الجهل الذي هو ألد الأعداء.

- مادة 'ع ل م' داخل القرآن الكريم

جدول يبين عدد مرات ورود مادة 'ع ل م' في القرآن الكريم:

عدد كلمات القرآن الكريم	مادة 'ع ل م' قي القرآن الكريم
[2]86967	854

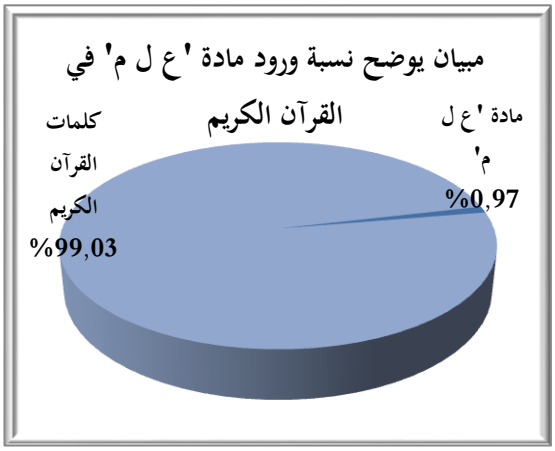

إن ورود لفظ "العلم" في القرآن الكريم ثمان مئة وأربع وخمسون مرة، بنسبة 0.97 %[3] داخل القرآن يجعلنا نتساءل ماهو هذا العلم الذي ذكر في القرآن الكريم؟

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "والعلم الذي نوه به القرآن وحفلت به آياته، يشمل كل معرفة تنكشف بها حقائق الأشياء، وتزول به غشاوة الجهل والشك عن عقل الإنسان، سواء أكان موضوعه الإنسان، أم موضوعه الوجود والغيب، وسواء أكانت وسيلة معرفته الحس والتجربة، أم وسيلته العقل والبرهان، أم وسيلته الوحي والنبوة "[4]

أتى العلم في القرآن الكريم بمعنى القرآن أو الدين، كما في قوله تعالى: (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى

وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ) [البقرة : 120]، والعلم هنا كما فسره الزمخشري(ت: 538هـ): "الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة"[5].

وأتى أيضا بمعنى القرآن الكريم حسب تفسير القرطبي(ت: 671هـ)[6] في قوله تعالى لقوله: (وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [يونس : 93].

وأتى العلم بمعنى الحق، ونجد هذا المعنى في قوله تعالى (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) [آل عمران : 19]. يقول الإمام الطبري (ت: 310هـ) "يعني : إلا من بعد ما علموا الحقّ فيما اختلفوا فيه من أمره وأيقنوا أنهم فيما يقولون فيه من عظيم الفرية مبطلون"[7].

ورد كذلك بمعنى البينة، ونجد هذا المعنى في قوله تعالى (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) [آل عمران : 61]، يقول الإمام الزمخشري(ت: 538هـ): "أي من البينات الموجبة للعلم"[8].

ومن معاني العلم كذلك داخل الخطاب القرآني الوعي المخالف للجهل والإدراك الراشد للأمور مع القدرة على التمييز:

ـ يقول سبحانه (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [الأعراف : 32]، يقول الطبري(ت: 310هـ) معلقا على قوله سبحانه (نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ): " أبين جميع أدلتي وحججي وأعلام حلالي وحرامي وأحكامي لقوم يعلمون ما يبين لهم ويفقهون ما يميز لهم"[9] وفي الآية يفصل الله عز وجل الآيات للذين يملكون القدرة على التمييز بين الحلال والحرام ، حتى لا يتقولوا على الله ما لم يقله فيحللوا الحرام ويحرموا الحلال.

ـ ويقول عز وجل (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة : 22]، يقول الزمخشري(ت: 538هـ) مفسرا قوله تعالى(وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) " معناه : وحالكم وصفتكم أنكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد، والمعرفة بدقائق الأمور وغوامض الأحوال ، والإصابة في التدابير، والدهاء والفطنة، بمنزل لا تدفعون"[10]، وقدرتهم على التمييز معناه أنهم ليسوا من أهل الجهل والغباء.

ـ يقول عز وجل (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) [الروم : 59]، والذي لا يعلمون هم الجهلة.[11] وكيف لهم أن يعلموا والله منع عليهم الألطاف التي ينشرح لها الصدور حتى تقبل الحق؟!

وهذه بعض معاني العلم داخل القرآن الكريم:

- ✓ القرآن الكريم
- ✓ الدين
- ✓ الحق
- ✓ البينة
- ✓ الوعي
- ✓ نقيض الجهل
- ✓ الإدراك الراشد
- ✓ القدرة على التمييز

المبحث الثاني: استعمالات العلم داخل القرآن الكريم

وردت مادة 'ع ل م' في القرآن الكريم ثمان مئة وأربع وخمسون مرة، في سياقات متعددة وموضوعات مختلفة لا يمكن حصرها في مقال علمي واحد. وفي ما يلي سياقات مادة 'ع ل م' داخل القرآن الكريم:

استعمل القرآن الكريم العلم في سياق متعددة نذكر منها:

في سياق الحديث عن كل ما يتصل بمعاش الإنسان، كتعليم داوود صناعة الدروع (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ) [الأنبياء : 80]، ومن ذلك تعليم الله سبحانه أنبياءه علوما معجزة كتعليم سليمان منطق الطير (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ) [النمل : 16].

ووظف القرآن الكريم العلم في سياق عام دال على كل العلوم التي تتصل بمعاش الإنسان وسعيه في الحياة الدنيا، وذلك في قوله سبحانه (عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) [العلق : 5]، يقول الزمخشري(ت: 538هـ) معلقا على الآية: " فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم"[12].

واستعمل القرآن العلم في بداية خروج الإنسان إلى الوجود، يقول سبحانه (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [النحل : 78]، يقول القرطبي (ت: 671هـ): " ذكر أن من نعمه أن أخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالا لا علم لكم بشيء".[13]

وكذلك استعمل القرآن العلم في أواخر حياة الإنسان إذا بلغ عتيا أو أرذل العمر، يقول سبحانه: (يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) [الحج:5].

ذكر في علم الحساب والفلك، فقال تعالى (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [يونس : 5]، علق الطبري(ت: 310هـ) على الآية " وقوله: (لتعلموا عدد السنين والحساب)، يقول: وقدّر ذلك منازل = (لتعلموا) ، أنتم أيها الناس = (عدد السنين) ، دخول ما يدخل منها، أو انقضاء ما يستقبل منها، وحسابها= يقول: وحساب أوقات السنين، وعدد أيامها، وحساب ساعات أيامها "[14]. ويقول الدكتور يوسف القرضاوي: " فتفصيل الآيات هنا إنما ينتفع به الذين يعلمون أسرار الله في هذه الظواهر الكونية، من جعل الشمس ضياء فيها النور والحرارة، والقمر نورا لأنه يستمد نوره من الشمس ، ومن تقدير القمر منازل لمعرفة عدد السنين والحساب"[15].

واستعمل القرآن العلم في معرفة مختلف مظاهر الطبيعة من الماء والسماء والثمرات والجبال والناس والدواب والأنعام واختلاف ألوانها وغيرها. ومن بين هذه الآيات التي ذكر فيها العلم في سياق الحديث عن الكون:

– يقول عز وجل (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ. وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) [فاطر : 27-28]، قال فيها الإمام القرطبي(ت: 671هـ):" هذه الرؤية رؤية القلب والعلم، أي ألم ينته علمك ورأيت بقلبك أن الله أنزل "[16]، وقال فيها سيد قطب(ت1385هـ): "وهذه الصفحات التي قلبها في هذا الكتاب هي بعض صفحاته، والعلماء هم الذين يتدبرون هذا الكتاب العجيب، ومن ثم يعرفون الله معرفة حقيقية. يعرفونه بآثار صنعته، ويدركونه بآثار قدرته، ويستشعرون حقيقة عظمته برؤية حقيقة إبداعه، ومن ثم يخشونه حقاً ويتقونه حقا، ويعبدونه حقا. لا بالشعور الغامض الذي يجده القلب أمام روعة الكون. ولكن بالمعرفة الدقيقة والعلم المباشر"[17]. وقد ذكر السياق القرآني في هذه الآية العلماء بعد أن ذكر السماء والماء والثمار والجبال، وهي إشارة من القرآن الكريم إلى علماء هذه الأشياء المذكورة ونظامها، فازداد هؤلاء العلماء بهذا العلم يقينا، وأثمر ذلك رهبة وخشية من عظمته، وعجيب إتقانه، واختلاف ألوان موجوداته، فهو علم وذوق لهذا الجمال في الألوان أيضا.

ـ وفي قوله تعالى (أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ) [النمل : 61]، نجد أن العلم قد ذكر في سياق الحديث عن الأرض، والأنهار والجبال والبحار، وذلك من أجل إظهار عظمة الله بالعلم، يقول الطبري(ت: 310هـ): "(بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ)، بل أكثر هؤلاء المشركون لا يعلمون قدر عظمة الله "[18].

ـ وفي قوله تعالى (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) [فصلت : 12]، نجد أن العلم قد ذكر في سياق الحديث عن السماء وتزيينها بالكواكب، يقول القرطبي(ت: 671هـ) في تفسير قوله تعالى (وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ) " أي بكواكب تضيء وقيل: إن في كل سماء كواكب تضيء. وقيل: بل الكواكب مختصة بالسماء الدنيا "[19] .

ـ وفي قوله تعالى (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [الأنعام : 97]، نجد أن العلم قد ذكر في سياق الحديث عن النجوم وظلمات البر والبحر. يقول الإمام الطبري (ت:310هـ) معلقا على الآية: "والله الذي جعل لكم أيها الناس النجوم أدلة في البر والبحر إذا ضللتم الطريق، أو تحيرتم فلم تهتدوا فيها ليلا تستدلون بها على المحجة، فتهتدون بها إلى الطريق والمحجة فتسلكونه، وتنجون بها من ظلمات ذلك"[20]، والعلم الذي يساعد الإنسان على الاستعانة بالنجوم لتهديه الطريق هو علم الفلك.

واستعمل القرآن العلم في سياق تعليم البيان والقدرة اللغوية، يقول سبحانه (خَلَقَ الإِنْسَانَ.عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) [الرحمن : 3-4]، وقال القرطبي(ت: 671هـ): "علمه البيان" أسماء كل شيء. وقيل: علمه اللغات كلها "[21]. وروى الطبري(ت: 310هـ): " علمه الله بيان الدنيا والآخرة بين حلاله وحرامه ، ليحتجّ بذلك على خلقه"[22].

واستعمل القرآن الكريم العلم في سياق الحديث عن بعض العلوم الصناعية في الجانب العسكري، والجانب المدني، يقول سبحانه في كتاب العزيز (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ

بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) [الحديد : 25]، يقول الإمام الزمخشري (ت:538هـ)" (فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) وهو القتال به (ومنافع لِلنَّاسِ) في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم، فما من صناعة إلا والحديد آلة فيها؛ أو ما يعمل بالحديد (وَلِيَعْلَمَ الله مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ) باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة أعداء الدين"[23]، والغاية من هذه الصناعة هي الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله وتحقيق العبودية المطلقة لله وحده.

واستعمل القرآن الكريم العلم في سياق الحديث عن صنعة البناء التي تعلمها إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام ، يقول سبحانه (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [البقرة : 127].

المبحث الثالث. العلم في القرآن المكي

ورد لفظ العلم في القرآن المكي في أربعة مئة وخمسة وتسعين موضعا، بنسبة 57.96%، وهي نسبة تزيد عن ورود مادة 'ع ل م' في القرآن المدني بـ 15.92%.

ولمعرفة دلالات العلم في القرآن المكي نبدأ من أول سورة نزلت على سيدنا محمد عليه أزكى الصلاة والسلام، يقول سبحانه عز وجل (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ .خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) [العلق:1-2-3-4-5]. في هذه الآيات نجد أن الله عز وجل قد بدأ الوحي بفعل أمر(اقرأ) وربط هذه القراءة بالعلم (علم بالقلم)، ليكون هذا العلم نتاج القراءة.

ونحن نتساءل انطلاقا من يقيننا أن الله عز وجل خلق الإنس والجن بغية عبادته سبحانه (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات:56]، لما أنزل الله هذه الآيات التي تحث على العلم والتعلم، والغاية من خلق الإنس والجن هي عبادته؟

إن الشعائر التعبدية والممارسات الدعوية والجهاد في سبيل الله كلها تقتدي العلم، بدون علم تصبح العبادة خرافة، والدعوة إلى الله تنفيرا، والجهاد في سبيل الله إرهابا. ولكن مع العلم تصبح عبادة الله على بصيرة والدعوة إلى الله على بصيرة والجهاد في سبيله على البصيرة.

وهكذا يعلن القرآن المكي مكانة العلم في الإسلام وعلاقته بالإيمان والعبادة من خلال أوائل السور التي أنزلت على رسولنا الكريم، واضعا بذلك قطيعة مع الجهل والتقليد الأعمى الذي كان متفشيا في مكة آن ذاك، ورافعا راية العلم والمعرفة، ومعلنا أيضا أن هذا الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو دين مؤسس على العلم والحجة لا اتباع الظن والهوى.

استعمل القرآن المكي العلم في مواضيع متعددة تدعو إلى توحيد الله وبناء العقلية المفكرة الرافضة للتقليد، من أجل تأسيس عقيدة صحيحة سليمة بعيدة كل البعد عن الخرافة والشرك. ومن بين هذه المواضيع التي ورد فيها العلم في القرآن المكي، نذكر:

- دعوة المعاندين إلى التجرد من مواريثهم الثقافية التي تبعدهم عن التفكير العلمي السليم في التوصل إلى الحقيقة، ونجد هذا المعنى في قوله تعالى: (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ) [الأعراف : 28]،يقول الشوكاني:" في هذه الآية الشريفة لأعظم زاجر، وأبلغ واعظ، للمقلدة الذين

يتبعون آباءهم في المذاهب المخالفة للحق، فإن ذلك من الاقتداء بأهل الكفر لا بأهل الحق"[24]

– إظهار عاقبة المعاندين الذين رفضوا الحجج العلمية وتشبتوا بما ورثوه عن أجدادهم. وإظهار علمه سبحانه بعمل هؤلاء المعاندين، يقول سبحانه (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) [الزمر:7]، يقول الإمام الطبري(ت: 310هـ): "إنّهُ عَلِيمٌ بذاتِ الصّدُورِ يقول تعالى ذكره: إن الله لا يخفى عليه ما أضمرته صدوركم أيها الناس مما لا تُدركه أعينكم ، فكيف بما أدركته العيون ورأته الأبصار، وإنما يعني جلّ وعزّ بذلك الخبر عن أنه لا يخفى عليه شيء، وأنه مُحصٍ على عباده أعمالهم، ليجازيهم بها كي يتقوه في سرّ أمورهم وعلانيتها"[25].

– كشف سلوك المعاندين العقلي ومستواهم التفكيري البعيد عن العلم، ليبطل دعاواهم التي يطلقونها من خيالهم كذبا وزورا وافتراء وكفرا شنيعا. قال تعالى (وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) [النجم : 28].

– إثبات وحدانية الله جل شأنه وسلطانه الكامل بالعلم، قال تعالى(قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [الأحقاف : 4]

ولأن القرآن المكي قاد معركة أساسية من أجل إزالة الشرك وتعليم العباد كيف يعبدون الله الواحد الفرد الصمد الذي لا شريك له ولا ولد فقد عمل على إثبات وحدانية الذات والصفات والتدبير بالعلم:

. إثبات وحدانية الذات: (أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ) [النمل : 61]. يعلق الطبري (ت:310هـ) على الآية بقوله: "بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قدر عظمة الله، وما عليهم من الضرّ في إشراكهم في عبادة الله غيره، وما لهم من النفع في إفرادهم الله بالألوهة ، وإخلاصهم له العبادة، وبراءتهم من كلّ معبود سواه "[26]

. إثبات وحدانية الصفات: (وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى. اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) [طه : 7-8]. ويعلق السيد قطب (ت1385هـ) على الآية بقوله:" ينسق بين الظاهر الجاهر في الكون، والظاهر الجاهر من القول، وبين المستور المخبوء تحت الثرى والمستور المخبوء في الصدور : السر وأخفى، على طريقة التنسيق في التصوير، والسر خاف، وما هو أخفى من السر تصوير لدرجات الخفاء والاستتار، ما هو الحال تحت أطباق الثرى "[27]

. إثبات وحدانية التدبير وتصريف الملك: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) [فاطر : 11]، يقول سيد قطب (ت1385هـ) معلقا على الآية:" وتصوير علم الله المطلق على هذا النحو العجيب ليس من طبيعة الذهن البشري أن يتجه إليه لا في التصور ولا في التعبير – كما قلنا في سورة سبأ– فهو بذاته دليل على أن الله هو منزل هذا القرآن، وهذه إحدى السمات الدالة على مصدره الإلهي المتفرد"[28]

وهكذا يتضح لنا أن العلم قد ورد في القرآن المكي في سياق دعوة المشركين إلى الإيمان بعقيدتي التوحيد

والبعث، وإقامة الأدلة والبراهين عليهما، ومحاربة ما هم عليه من وثنية وشرك وعبادة أصنام، وتقليد وجمود وإرشاد عقولهم إلى النظر والتفكير في ملكوت السموات والأرض، ليذعنوا للحق ويؤمنوا بالله العليم الحكيم.

وحيث إن الدعوة لعبادة الله و توحيده وعدم الشرك، و مجادلة الكفار و المشركين من خصائص القرآن المكي، فقد كانت هذه الدعوة وهذه المجادلة مبنية على الحجة والدليل والإقناع، ولهذا كان العلم بآساليب الدعوة إلى الحق والمجادلة بالتي هي أحسن وسيلة في الدعوة ومجادلة الكفار لإقناعهم.

المبحث الرابع: العلم في القرآن المدني

ورد لفظ العلم في القرآن المدني في ثلاثة مئة وتسعة وخمسين موضعا، بنسبة 42,04%، وهي تنقص القرآن المكي بـ 15.92%.

استعمل القرآن المدني العلم في جل القضايا والمواضيع التي تميز بها القرآن المدني، كبيان التشريعات العملية والأحكام التفصيلية التي كان المجتمع الإسلامي الجديد في أمس الحاجة إليها؛ من عبادات ومعاملات وحدود، وتنظيم لشؤون الزواج والطلاق والميراث وغير ذلك.

ولأن المرحلة المدنية تميزت ببناء الدولة الجديدة على أساس الإسلام في كل شيء من إداراتها وسياستها وحربها وسلمها وصلاتها بالأفراد والجماعات فقد كان هذا البناء على أساس العلم، ولهذا نجد القرآن المدني قد وظفه في سياق:

ـ بيان أحد أهم أسس قيام الدولة وهو العمل الجماعي لا الفردي، (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) [البقرة : 143] أي أن للأمة دور أساسي في قيام الدولة الإسلامية.

ـ بيان نوع من أنواع العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية، و أحكام الجهاد في سبيله وما يتصل بذلك من أساليب الترغيب فيه والحث عليه وبيان فضل الشهداء والمجاهدين وتنظيم علاقات الحرب والسلم، قال تعالى (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [التوبة:123]. وفي ذات السياق دعا القرآن الكريم في المرحلة المدنية إلى تعليم أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فنون القتال وتدريبهم على استعمال السلاح، ليكون هذا الجهاد في سبيل الله مؤسسا على العلم لا الجهل، قال تعالى (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ) [الأنفال : 60].

ـ لبيان أحكام القتل الخطأ، قال تعالى (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) [النساء:92]، وفي الآية ذكر لاسمين من أسماء الله تعالى بعد أن بين حكم قتل الخطإ، ليؤكد لنا أن هذه الأحكام مؤسسة على العلم والحكمة .

ولأن القرآن المدني اهتم بقضايا الأسرة وكل ما يتعلق بأحكامها كالزواج والطلاق والإرث، وبين ودورها

في بناء المجتمع الإسلامي، فقد وظف القرآن العلم في كل هذ المواضيع لبيان مكانته وأهميته، ولهذا فإننا نجد العلم قد ذكر في سياق:

_ تنظيم شؤون الزواج والطلاق، وفي أحكام الزواج يقول سبحانه وتعالى (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [النساء:25]، وفي قضايا الطلاق يقول سبحانه وتعالى(وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [البقرة : 231]، هي إشارة من القرآن الكريم إلى أن غياب الوعي بفقه الزواج والطلاق قد ينتج عنه مساوئ على المستوى الإجتماعي كالتفكيك الأسري وضياع حقوق كل من الزوجة والأبناء، ولعل ما نراه اليوم من ارتفاع نسب الطلاق وامتلاء المحاكم بقضايا المشاكل الأسرية لهو دليل على جهل غالبية الناس بالأحكام الفقهية الخاصة بالأسرة.

_ بيان أحكام الإرث، يقول سبحانه وتعالى (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) [النساء : 11].

_ ولأن القرآن المدني اهتم بمجال المعاملات، فقد ربط هذه المعاملات بالعلم، ولهذا نجد القرآن المدني قد وظفه في سياق الحديث عن الأحكام الخاصة بالدين والتجارة والرهن في أطول آية في القرآن الكريم، قال تعالى (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [البقرة : 282]، إن تحديد التوثيق في المعاملات من أعظم وسائل بث الثقة بين المتعاملين، وذلك من شأنه تكثير عقود المعاملات ودوران دولاب التمول[29]، والقرآن الكريم إذ يربط بين أحكام هذه المعاملات والعلم، فهو يؤكد على أهميته في بناء الأمة الإسلامية وأهميته في بث الثقة بين المتعاملين.

_ وظف العلم في سياق الدعوة إلى الوحدة والتكافل الاجتماعي، قال سبحانه وتعالى (يَأَيُّهَا النَّاسُ

إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات : 13]، قال سيد قطب(ت1385هـ) في الآية:" يا أيها الناس. يا أيها المختلفون أجناسا وألوانا ، المتفرقون شعوبا وقبائل. إنكم من أصل واحد . فلا تختلفوا ولا تتفرقوا ولا تتخاصموا ولا تذهبوا بددا"[30].

ـ واستعمل القرآن المدني العلم في سياق الحث على الانفاق، يقول سبحانه وتعالى (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) [البقرة : 215]، علق سيد قطب(ت1385هـ) على الآية بقوله:" والآية دالة على الأمر بالإنفاق على هؤلاء والترغيب فيه ، وهي في النفقة التي ليست من حق المال أعني الزكاة ولا هي من حق الذات من حيث إنها ذات كالزوجة، بل هذه النفقة التي هي من حق المسلمين بعضهم على بعض لكفاية الحاجة وللتوسعة وأولى المسلمين بأن يقوم بها أشدهم قرابة بالمعوزين منهم"[31]

إن ورود العلم في السياقات التي تم ذكرها لدليل على أهميته في المواضيع التي طرحها في القرآن المدني. فذكر العلم في سياق الحديث عن أحكام الجهاد لدليل أن هذا الجهاد في سبيل الله يتأسس على العلم لا الجهل، حتى لا يتحول من جهاد في سبيل الله إلى قتل وسفك للدماء بغير وجه حق، ولعل ما نراه من قتل للأبرياء من حركات تدعي انتسابها للإسلام لهو دليل على غياب العلم، وليس كما يدعي بعض الجهلة أنه نتاج لما تعلموه من دينهم.

وذكر العلم في سياق الحديث عن أسس قيام الدولة الإسلامية، لدليل على أن هذ الدولة قد أسست على ركائز علمية جعلت منها دولة رائدة حضاريا، رافضة للجهل والخرافة، الشيء الذي جعلها شامخة لقرون، عكس الحضارات التي تأسست على الخرافة فما بقي منها إلا ما لا يفيد الأجيال في تأريخه.

إن ورود العلم في قضايا الأسرة (الزواج والطلاق والإرث) والحدود والقصاص لدليل من القرآن على أن هذه القضايا يجب أن تبنى على أساس العلم، ففي قضايا الأسرة يجب أن يعلم الأزواج حقوقهم وواجباتهم، وفي أحكام الحدود والقصاص لابد من العلم حتى يأخذ كل دي حق حقه.

إن ورود العلم في القرآن المدني شامل لكل القضايا التي تهم الفرد والمجتمع والأمة والدولة، الشيء الذي يبين لنا على أن الدعوة الإسلامية دعوة كانت بالعلم ودعت إلى العلم.

4.خاتمة:

إننا ننبهر حقا في تتبع سياقات العلم داخل القرآن الكريم، وضبط معانيه جميعها، وكأن لهذه المعاني امتدادا أبديا لا يتوقف عبر الزمان والمكان، لا يسبر غوره إلا الراسخون في العلم، وذلك لأن العلم شجرة بجذور عميقة وفروع متعددة ودائمة الامتداد، كثيرة الظلال، قوية المفعول، ثابتة الأصول؛ لا نكاد نستفيد من إحدى ثمارها حتى تتراءى لنا ثمار أخرى طيبة المذاق، عميقة الفائدة، واضحة المعالم، ومع ذلك فالله سبحانه وتعالى الذي خلقنا جزءا من كونه وكرمنا من بين جميع مخلوقاته بفضل العقل والقدرة على التعلم والاستمرارية فيه، قد أمرنا بتوظيف هذا الكنز العظيم الذي يميزنا عن الأشياء والجمادات وباقي المخلوقات.

إن ورود العلم بهذه المعاني، واستعماله في السياقات المختلفة لدليل على شمولية العلم في القرآن الكريم وتنوعه من جهة، ودليل أيضا على وجوب قراءة الكتابين؛ الكتاب المسطور والكتاب المنظور. وهكذا

يكون للقرآن الكريم السبق في الدعوة إلى البحث العلمي في المجالات كافة، وأنه وضع منهجا قويما، وفتح آفاق العلماء والمفكرين للبحث في هذه المجالات التي تطرق لها في معرض دعوته لضرورة أخذ العلم النافع الذي تسعد به الأمة.

5. المصادر والمراجع

✓ برنام إحصاء القرآن الكريم، الإصدار 3.0. من إنجاز : الأستاذ محمد حمادي، عبد الدائم الكحيل، إضافة إلى مجموعة من الباحثين.

✓ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ) ، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». الناشر : الدار التونسية للنشر، 1984 م، تونس.

✓ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ). جامع البيان في تأويل القرآن. المحقق: أحمد محمد شاكر. الطبعة: الأولى ، الناشر: مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م.

✓ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ). الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية، الناشر: دار الكتب المصرية –، 1384هـ - 1964 م، القاهرة.

✓ يوسف القرضاوي. العقل والعلم في القرآن الكريم.الطبعة الأولى، الناشر: مكتبة وهبة، 1416هـ-1996م، القاهرة.

✓ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ). فتح القدير.الطبعة: الأولى الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب. 1414 هـ. دمشق، بيروت.

✓ سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ). في ظلال القرآن . الطبعة: السابعة عشر الناشر: دار الشروق – بيروت- القاهرة، - 1412 هـ.

✓ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. 1407 هـ. الطبعة: الثالثة الناشر: دار الكتاب العربي بيروت.

✓ أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي. إبراهيم السامرائي. كتاب العين. الطبعةالأولى، الناشر: مؤسسة الأعلمي،1988، بيروت.

✓ أبونصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. الطبعة: الرابعة، الناشر: دار العلم للملايين ، 1407 هـ - 1987م. بيروت.

✓ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ). المحقق: عبد السلام محمد هارون. مقاييس اللغة. الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.

✓ لسان العرب .محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ).الطبعة: الثالثة.الناشر: دار صادر - بيروت- 1414هـ.

✓ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ). القاموس المحيط. مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي.باب الميم، فصل العين. الطبعة:

الثامنة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1426 هـ - 2005 م، بيروت – لبنان.

الهوامش:

[1] انظر: أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي. إبراهيم السامرائي. العين. باب العين واللاّم والميم معهما "ع ل م"، "ع م ل"، "م ع ل"، "ل م ع" مستعملات، الطبعةالأولى، الناشر: مؤسسة الأعلمي،1988، بيروت.

أبونصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. فصل العين، مادة "ع ل م". ، الطبعة: الرابعة، الناشر: دار العلم للملايين ، 1407 هـ - 1987م. بيروت.

أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ). المحقق: عبد السلام محمد هارون. مقاييس اللغة. كتاب العين، باب العين واللام وما يثلثهما. الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.

لسان العرب .محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ). فصل العين المهملة.الطبعة: الثالثة.الناشر: دار صادر - بيروت- 1414 هـ.

مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ). القاموس المحيط. مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي.باب الميم، فصل العين. الطبعة: الثامنة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1426 هـ - 2005 م، بيروت – لبنان.

[2] برنام إحصاء القرآن الكريم، الإصدار 3.0. من إنجاز : الأستاذ محمد حمادي، عبد الدائم الكحيل، إضافة إلى مجموعة من الباحثين.

[3] هذه النسب تم حسابها باعتماد برنام إحصاء القرآن الكريم، الإصدار 3.0، من إنجاز: الأستاذ محمد حمادي، والأستاذ عبد الدائم الكحيل، إضافة إلى مجموعة من الباحثين بعد أن تم أولا تجميع جميع الآيات التي وردت بها مادة 'ع ل م'، وثم عدها، بعد ذلك قورنت بعدد كلمات القرآن الكريم لاستخراج نسبة ورود المادة داخل القرآن الكريم.

[4] يوسف القرضاوي،. العقل والعلم في القرآن الكريم.الطبعة الأولى، الناشر: مكتبة وهبة، 1416هـ-1996م، القاهرة. ص/149

[5] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ج/ ، ص/ 183.

6 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ). الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية، الناشر: دار الكتب المصرية –، 1384هـ - 1964 م، القاهرة..ج/8، ص/ 381.

[7] المصدر نفسه ج/5 ، ص/ 283.

[8] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ج/1 ص/ 368 .

[9] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ). تفسير الطبري. ج/ 10، ص/ 162.

[10] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ج/1، ص/ 96.

[11] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل.ج/ 3، ص/ 488.

[12] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ج/4، ص/ 776.

[13] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ). تفسير القرطبي. ج/10، ص/ 151.

[14] المصدر نفسه ج/12 ،ص/ 119.

[15] يوسف القرضاوي، العقل والعلم في القرآن الكريم.ص/151.

[16] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ). تفسير القرطبي. ج/14، ص/ 341.

[17] سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ). في ظلال القرآن الكريم. ج/5، ص/ 2943.

[18] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ). تفسير الطبري. ج/18، ص/ 102.

[19] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ). تفسير القرطبي. ج/15، ص/345.

[20] المصدر نفسه . ج/ 9، ص/ 431.

[21] المصدر نفسه. /17، ص/ 152.

[22] المصدر نفسه. ج/22 ،ص/ 169.

[23] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ج/4، ص/ 481.

[24] محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ). فتح القدير. الطبعة: الأولى الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب. 1414 هـ. دمشق، بيروت. ج/2،ص/27

[25] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ). تفسير الطبري. ج/20،ص/170.

[26] المصدر نفسه ج/18،ص/102.

[27] سيد قطب (المتوفى: 1385هـ). في ظلال القرآن. ج/4،ص/ 2328.

[28] المصدر نفسه ج/5،ص/ 2932.

[29] محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ) ، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد».الناشر : الدار التونسية للنشر، 1984م، تونس،ج/3،ص/98.

[30] سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ). في ظلال القرآن. ج/6،ص/ 3348.

[31] محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى:1393هـ). التحرير والتنوير. ج/2،ص/318.